

العربية و استشراف المستقبل
(مراجعة في تنمية التفكير)

د . يوسف خلف محل العيساوي
رئيس قسم اللغة العربية
كلية الآداب- الجامعة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين،

بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تُعنى مراكز التخطيط المستقبلي، أو (استشراف المستقبل) بتقديم الدراسات والمشاريع البحثية التي توضح المسار الطويل الأجل بغية بناء مجتمع المعرفة، (ومما يجب التنبيه إليه هنا أنّ مسؤولية المسلم تجاه حركة المستقبل استشرافاً وائتمناً ليست رجماً بالغيب المنهي عنه، ولا مؤسسة على عناصر معاندة للقدر، ولا خرقاً للزمن الواقع كما قد يُظنّ، بل هي مسؤولية تحمل في جوهرها عناصر حركة تفكيرية وعملية تنطلق من الوعي بالسنن الفاعلة والحاكمة لحركة الحياة والأحياء تدبيراً، واعتباراً إلى السعي لتشكيل المستقبل وفق رؤية الإسلام للعالم ومقاصده في عمارة الكون وقيمه في تحريك الحياة على امتدادها في الأزمان عبادة لله، وتعبيد الدنيا له) (1).

وعلى تلك الدراسات المعنتية باستشراف المستقبل، أن تجعل من لسان العرب أساساً في النظر والاعتبار؛ لأنّ العربية لسان الاستخلاف الذي تضمّن فقه التزكية، وقرّر الاستقامة وحمل مشعل الحضارة الإنسانية جمعاء، فانطوى على أسرار وحكم كانت من أعظم العبر لبني البشر.

وفي هذه المناسبة التي يُقيم فيها المجلس الدولي للغة العربية مؤتمره الثالث بعنوان: (الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي)، أقدّم مشاركتي هذه: (العربية واستشراف المستقبل: مراجعة في تنمية التفكير).

إنّ العربية لغة الرسالة العالمية الخاتمة تتاح لها في حقبة العولمة هذه فرص الإعداد والإمداد؛ فالعلاقة بين الأمم ولغاتها علاقة تبادلية طردية، ولكن الإفادة من هذه الحالة تحتاج إلى تخطيط للعربية مع كل تخطيط مستقبلي؛ لأنّ (السياسة اللغوية آلية لموضوعة في البنية الاجتماعية بشكل يجعل اللغة تحدد من ستفتح في وجهه أبواب السلطة السياسية، والثروات الاقتصادية، وتعد السياسة اللغوية آلية بوساطتها تضع المجموعات السائدة أسس الهيمنة في استعمال اللغة) (2).

وهذا يتطلب منّا إزالة الغبش الذي قيل عن تعريب التعليم، وفسح المجال أمام العربية في جميع أرجاء الحياة، وألا نلقت إلى أبواق العاجزين؛ ف(المسلمون الجامدون فتنة لأعداء الإسلام، وحجة عليه) (3).

وبحثي هذا بعد المقدمة يأتي في مبحثين، وخاتمة:

(1) الائتمان على المستقبل في السنة النبوية: 107.

(2) السياسة اللغوية: 16، جيمس أ، طوليفيسن، ترجمة: محمد خطابي، مجلة علامات، العدد: 9.

(3) لماذا تأخر المسلمون: 111.

المبحث الأول: العربية اعتزاز، وإنجاز.

المبحث الثاني: العربية في معارج التفكير والتدبير.

الخاتمة وفيها أهم مقاصد البحث.

ولعل هذا البحث يكون استجابة لأمر مهمة:

الأول: تنبيه تلك المراكز البحثية إلى خطورة أمر اللغة؛ فهي البداية الصحيحة نحو انطلاقة حضارية صريحة.

الثاني: اللغة العربية لسان حضارة، وكيان، وأداة استثمار وعمران.

الثالث: إحياء ذكر هذا اللسان العظيم في محاضر الدرس المستقبلي؛ وربط تلك الدراسات بلسان العرب يبلغ أصحابها الأرب.

الرابع: العربية حصن للأمة أمام التغريب، وسبيل قويم في البناء والتهديب.

أقول:

اللسان مُظهر الممتلكات، وهو أسُّ بناء الذات، ومفتاح الذوات، فيجب أن يكون على رأس

الأولويات.

أسأل الله تعالى السداد في القول والعمل.

أ.م.د. يوسف خلف محل

رئيس قسم اللغة العربية

كلية الآداب- الجامعة العراقية

1435هـ = 2014م

وفي مجيء جملة جتةءءء في مساق تقرير البرهان على نبوة النبي □ مع تضمن تعديد المنة عليه يشهد بوضوح الدلالة على عظم هذه اللسان مباشرة وجميع ما يلوح من لطائف هذه الجملة مشعر بذلك.

وانظر إلى إضافة التنزيل إلى رب العالمين دون غيره من الأسماء الحسنى، وذلك لتضمنه جميع الأوصاف التي بها قوام جميع العالم إيجاباً وإمداداً؛ فإنزاله بلسان عربي مبين هو من آثار تبيته سبحانه وعنايته بهذا التنوع الإنساني من جملة مخلوقاته.

وجاء (بلسان) منكرًا دون أن يقال ب(اللسان العربي المبين) لما في التتكير من التعظيم الذي لا يوفي به التعريف؛ فكأنه قيل ب(لسان أي لسان)، وقال: (بلسان عربي مبين) بلغة خاصيتها الإبانة لما تعبر به من المعاني وإن تناهت في الدقة إلى غاية تقتصر عنها سائر اللغات مع الوضوح في نفسها، بحيث يسبق قلب سامعها إلى فهمها قبل تمكن أذنه من وعيها⁽¹⁾.

فإبانة العربية في أصواتها وفي ألفاظها وفي تراكيبها وفي دلالاتها. يقول عمر عبيد حسنه: (ولعل من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن مصطلح "مبين" في النص القرآني، النص السماوي للرسالة الخاتمة بما يعنيه من البيان والوضوح في المعنى وعدم اللبس يعتبر من شروط استقامة التذكير وبناء التدين الصحيح، وسبيل الأمة لاستئناف دورها في الشهود الحضاري والحاق الرحمة بالعالمين)⁽²⁾.

ومن المفيد أن ننقل نصًا عزيزًا للدكتور محمد أبو موسى يبين فيه سرًا بديعًا من أسرار عربية القرآن؛ إذ قال: (عروبة القرآن عروبة لغة وبيان، وليست عروبة معاني؛ لأن المعاني القرآنية معانٍ إلهية من خالق الناس إلى جميع الناس في جميع الأقطار والأزمان، فهي مطلقة من القيد، ومطلقة في كمالاتها. ولم تعرف لغة من لغات الأرض طبقات من العلماء من غير أبنائها انقطعوا لخدمتها كما تعرف العربية، ولا يزال طلاب العلم في الأزهر من كل أجناس الأرض يتفوق بعضهم على بعض في علوم العربية).

وقد فتح لها القرآن الكريم ينابيع المحبة في قلوب الصادقين من أهل الإسلام، وكان يجب أن يكون العرب هم الريادة في خدمة هذا اللسان، وقد كانوا كذلك إلى هذا الزمن الغريب الذي صار فيه أهل الراي فينا يحملون اهتمامات عدونا في شأننا؛ فأصبحوا علينا وليسوا لنا، وقد زرعو

(1) ينظر: روضة الأعلام: 1 / 93-95.

(2) على طريق الشهود ملامح وآفاق: 92.

ظلت اللغة العربية في بلاد فارس لغة أصلي الأدب والعلم، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية⁽¹⁾.

فمن العربية نقل الغرب إرث اليونان الحضاري والعلمي، يقول جولدشتاين: (جلست أجيال من الدارسين أمام النصوص العربية تفك شفرة الرموز الغرائبية في قاعات قراءة تمتد من سوريا إلى البرتغال)⁽²⁾.

ودونك أقوالاً مهمة لبعض المستشرقين، أو الباحثين الغربيين تُفصح عن عالمية هذا اللسان:

1. يقول ماسنيون: (إنَّ اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دولياً لهو العنصر الجوهرى للسلام بين الأمم في المستقبل)..

2. يقول أربري: (إنَّ اللغة العربية لغة حية وحضارة العرب هي حضارة مستمرة، فهي حضارة الأمس واليوم والغد)⁽³⁾.

3. يقول يوهان فك: (ولقد برهن جبروت التراث العربى التالذ الخالذ على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية)⁽⁴⁾.

4. توقع لوي كالفى فى (2010 م) عن مستقبل اللغات العالمية الكبرى، ومنها العربية، فىرى أنَّ العربية ستحتل عام (2025 م) المرتبة السابعة بين اللغات العشر الأوائل فى العالم، وحسب معيار خاص سيكون مركز العربية فى المرتبة الخامسة فى العام نفسه، وستكون فى المرتبة الرابعة عالمياً عام (2050 م)⁽⁵⁾.

5. يقول العالم الأمريكى ستيفن روجر فيشر: (إنَّ عددًا كبيرًا من اللغات سيندثر خلال السنوات القادمة، وإنَّ اللغة العربية تصمد نظرًا لأهميتها الدينية).

(1) حضارة العرب: 440.

(2) المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الإغريق القدماء إلى عصر النهضة: 109، الفصل الرابع بعنوان (هبة الإسلام: 109-144).

(3) الفصحى لغة القرآن: 302.

(4) العربية: 242.

(5) ينظر: اللغة هوية الأمة: 33.

6. كتب جول فيرن قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية، وعندما وصلوا إلى مركزها وأرادوا العودة إلى سطحها بدا لهم أن يتركوا أثرًا يدل على رحلتهم، فنقشوا على صخرة كتابة باللغة العربية، ولما سُئل جول فيرن عن ذلك، قال: (إنها لغة المستقبل).

هذا غيظ من فيض مما يقوله المنصفون من باحثي الغرب أو علمائهم، والمسلم العاقل عندما يقرأ قوله تعالى: **چچچچچچ [العلق: 1]**، يعلم أن هذه هي اللحظة الأولى في تحول تاريخ العربية، وهي نقطة ولادة لدورها الرسالي، وعندما نقرأ قوله تعالى: **چگچگچگچگچ [الحجر: 9]**، هو على يقين أن هذا وعد محقق من عند الله تعالى بحفظ كتابه، ومن لوازم ذلك حفظ لغته. وأختم هذا بقول عالم العربية ابن جني: (إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاب والرقّة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر. فمن ذلك ما نبّه عليه أصحابنا رحمهم الله ومنه ما حدوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وقفوا لتقديمه منه. ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه. وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه وأنها وحي) (1).

(1) الخصائص: 1/ 48.

نهج في التفكير والبحث والنظر والتفتيش، ونقلها إلى الفقه، فأخرجت له من الفقه ينبوعاً ظلَّ يستقي منه ثلاثين سنة. لقد تعلم الجرمي من كتاب سيبويه كيف يستخرج المعرفة الغائبة⁽¹⁾.

لقد تكلم أهل الاستنباط عن المعاني الإدراكية، وهي كل ما يدركه ويستتبطه أهل العلم من النص في السياق المقالي والمقامي للبيان، وفقاً لأصول وضوابط الفهم والاستنباط، وجعلوا المعنى الإدراكي على نوعين: الأول: المعنى العقلي، وهو الحامل للمعاني الجمهورية التي هي قوام معاني الأحكام الشرعية، والمعنى النفسي، وهو يحمل أيضاً من اللطائف الإحسانية التي تتصاعد بالعباد إلى مقام عبادة الله سبحانه محبة فيرى العبد في هذه الأوامر أيضاً من تربيته وإحسانه⁽²⁾.

فيجب علينا: (توجيه اللغة وجهة رسالية في عصرنة علم اللغة وتحديث اهتماماته ومضامينه، وذلك من أجل ارتقاء ونماء الواقع العلمي المتخلف للأمة، أما التجديد المنهجي فيفي به إقامة الدرس اللغوي على منهجية علمية حديثة)⁽³⁾.

وهذا الذي أدركه علماؤنا من فقه العربية في باب التفكير، نبه عليه غريبون، يقول ديريك بيكرتون في كتابه (اللغة وسلوم الإنسان): (يرى هذا الكتاب أنّ الإنسان يكسب ذكائه من خلال خوضه في مجاهل اللغة)⁽⁴⁾.

لأنّ كلمة (الفكر) تشتمل (على أنواع مختلفة من النشاط العقلي تقع في مجال علم النفس المعرفي)⁽⁵⁾.

ف(مبدأ كل علم نظري، وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار، فانها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة)⁽⁶⁾. فاللغة تفتح آفاق المستقبل، وهي عامل أساس في عملية التنشئة الاجتماعية للإنسان، وهي تعمل عملها باستثارة السامع، والتأثير فيه، ودفعه نحو الحركة والعمل والتفكير، وهي أساس

(1) مناهج علمائنا في بناء المعرفة: 192-193.

(2) ينظر: دلالة الألفاظ: 42-44.

(3) علوم العربية ومنهجية الجمع بين القراءتين: عادل الشيخ عبدالله، مجلة (إسلامية المعرفة)، س (17)، ع (28)، ربيع: 1423هـ-2002م.

(4) اللغة وسلوك الإنسان: 39، ديريك بيكرتون، ترجمة: محمد زيادة كبة، جامعة الملك سعود (1422هـ-2001م).

(5) علم اللغة الاجتماعي: هـسون، ترجمة: محمود عياد، ومراجعة: د. نصر حامد أبو زيد، ود. محمد أكرم مسعد الدين، عالم الكتب- القاهرة، ط/1، 1990م.

(6) الفوائد: 252.

في علم التدبير، الذي يقود الإنسان المتدبر إلى بناء تصور عمراني متين قويم، يستوعب الماضي والحاضر، وينطلق باتجاه المستقبل⁽¹⁾.

ومن هذا كله جعل العلماء اللغة أساساً في الفهم والتفكير السليم، فمن فهم الشريعة واستنباط النوازل إلى مستجدات الحياة فيما يخص العلوم التطبيقية، والسياسة، والإعلام، والقضاء، والمال، ونحو ذلك. كل هذا مرتبط باتساع اللغة لهذه المجالات وتجديدها.

وقد أكد الإمام الشافعي مسألة في غاية الأهمية، وهي ارتباط الفهم الصحيح باللغة، فهو يُقَرَّر مَنْ (جَهْلٌ هَذَا مِنْ لِسَانِهَا، وَبِلِسَانِهَا نَزَلَ الْكِتَابُ، وَجَاءَتِ السَّنَةُ، فَتَكَلَّفَ الْقَوْلَ فِي عِلْمِهَا تَكَلَّفَ مَا يَجْهَلُ بَعْضَهُ، وَمَنْ تَكَلَّفَ مَا جَهْلٌ، وَمَا لَمْ تُنْبِئْهُ مَعْرِفَتُهُ: كَانَتْ مُوَافِقَتُهُ لِلصَّوَابِ - إِنْ وَافَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْرِفُهُ - غَيْرَ مَحْمُودَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ وَكَانَ بِخَطِّهِ غَيْرَ مَعذُورٍ، وَإِذَا مَا نَطَقَ فِيهَا لَا يَحِيطُ عِلْمُهُ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ فِيهِ)⁽²⁾.

وعَلَّقَ عَلَى هَذَا الشَّاطِبِيُّ بِقَوْلِهِ: (هَذَا قَوْلُهُ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَغَالِبُ مَا صُنِّفَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مِنَ الْفُنُونِ إِنَّمَا هُوَ الْمَطَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَكْفَلُ الْمُجْتَهِدُ فِيهَا بِالْجَوَابِ عَنْهَا، وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ)⁽³⁾.

وقال أيضاً: (لَا غِنَى لِلْمُجْتَهِدِ فِي الشَّرِيعَةِ عَنْ بُلُوغِ دَرَجَةِ الْاجْتِهَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ فَهْمُ خِطَابِهَا لَهُ وَصَفًا غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ وَلَا مُتَوَقِّفٍ فِيهِ فِي الْغَلْبِ إِلَّا بِمِقْدَارِ تَوْقُفِ الْفَطْنِ لِكَلَامِ اللَّيْبِ)⁽⁴⁾.

ولتوضيح بابي التفكير والتدبير في مدارج اللغة مما يُعَدُّ استشرافاً وائتمناً للمستقبل، سوف نتوقف عند أمرين:

الأول: في بناء المفاهيم.

والثاني: التدبر في باب التعبير.

(1) ينظر: أفلا يتدبرون القرآن: 19، 1/هـ .

(2) الرسالة: 53.

(3) الموافقات: 57 / 5.

(4) الموافقات: 57 / 5.

الاول: في بناء المفاهيم:

جاء الإسلام الدين العظيم، والعرب على إرث كبير من الفصاحة والبلاغة، وكانت اللغة التي بها ينطقون تدلُّ دلالة واضحة على عمق وسلامة المفاهيم التي تحملها تلك الألفاظ، وتلك الأساليب. ولكن مع هذا كله فإن هذا الدين الجديد قد حمل الألفاظ وتلك الأساليب مفاهيم أخرى، فسميت تلك الألفاظ بـ(الألفاظ الإسلامية)، او (المصطلحات الإسلامية)، ونحو ذلك.

يقول ابن فارس في (باب الأسباب الإسلامية) من كتابه (الصاحبي): (كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ آبَائِهِمْ فِي لُغَاتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَنَسَائِكِهِمْ وَقَرَابِينِهِمْ. فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْإِسْلَامِ حَالَتْ أَحْوَالٌ، وَنُسِخَتْ دِيَانَاتٌ، وَأَبْطَلَتْ أُمُورٌ، وَنُقِلَتْ مِنَ اللُّغَةِ أَلْفَاظٌ مِنْ مَوَاضِعَ إِلَى مَوَاضِعَ آخَرَ بِزِيَادَاتٍ زِيدَتْ، وَشُرَائِعَ شُرِعَتْ، وَشُرَائِظُ شُرِطَتْ. فَعَفَى الْآخِرُ الْأَوَّلَ، وَشُغِلَ الْقَوْمُ - بَعْدَ الْمُغَاوَرَاتِ وَالتَّجَارَاتِ وَتَطَلُّبِ الْأَرْبَاحِ وَالكُذْحِ لِلْمَعَاشِ فِي رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَبَعْدِ الْأَغْرَامِ بِالصَّيْدِ وَالمُعَاقَرَةِ وَالمِيَاسِرَةِ بِتَلَاوَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَبِالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحِفْظِ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ اجْتِهَادِهِمْ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

فصار الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَنَشَأُوا عَلَيْهِ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَحَتَّى تَكَلَّمُوا فِي دَقَائِقِ الْفَقْهِ وَغَوَامِضِ أَبْوَابِ الْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَتَأْوِيلِ الْوَحْيِ بِمَا دُونَ وَحُفِظَ حَتَّى الْآنَ⁽¹⁾. وهذه الاصطلاحات التي هي من فقه الدين والعربية تعرّضت لما تعرّضت لها الأمة من انكفاء، يقول بكر بن عبدالله أبو زيد: (وكان من سوابل هذه البدوات الآثمة والحملات المسعورة غياب طائفة كبيرة من لغة الشريعة المسطرة في معلمة فقهاها، فحلت مصطلحات أجنبية عن دينها ولغتها في جوانب الحكم، والقضاء، والتعليم، ولغة الحياة العامة والسلوك. وغيرها متابعة بذلك سنة الإبعاد عن كتب الشريعة وفقهاها بتحنيط لغتها، وبذلك يستحكم الانقسام بين المسلم وتراثه، ليكون رسماً لا معنى له)⁽²⁾.

وستتوقف عند مفهومين مما ينبغي علينا الرجوع إليهما؛ للإفادة من استحضارهما في باب

التفكير والتدبير:

المفهوم الاول: حقيقة المفلس:

(1) الصاحبي: 78؛ وينظر: المزهري: 1/ 294 - 295.

(2) فقه النوازل (قضايا فقهية معاصرة): بكر بن عبدالله أبو زيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م: 1/ 104 -

جاء عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (1).

قال النووي: (مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مَالٌ وَمَنْ قَلَّ مَالُهُ فَالنَّاسُ يُسَمُّونَهُ مُفْلِسًا وَلَيْسَ هُوَ حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ يَزُولُ وَيَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ وَرُبَّمَا يَنْقَطِعُ بِيَسَارٍ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الْمُفْلِسِ هَذَا الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ فَهُوَ الْهَالِكُ الْهَالِكُ التَّامُّ وَالْمَعْدُومُ الْإِعْدَامَ الْمَقْطَعُ فَنُؤَخَذُ حَسَنَاتَهُ لِغُرْمَائِهِ فَإِذَا فَرَعَتْ حَسَنَاتُهُ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَوُضِعَ عَلَيْهِ ثُمَّ أُلْفِيَ فِي النَّارِ فَتَمَّتْ خَسَارَتُهُ وَهَلَكَهُ وَأَفْلَسَهُ) (2).

وقال سعيد شبَّار: (فالإفلاس كمصطلح متداول في الأموال والمتاع، يكون متى خسر الإنسان أوضاع في ذلك، وإعطاؤه مفهومًا آخر غير مفهومه المادي مفهومًا معنويًا، أخلاقيًا وتربويًا يدلُّ وإن كان المراد منه تقريب المعنى للفهم عن طريق التشبيه والتمثيل بما هو معروف ومتداول - على إمكانية استثمار المصطلح في الاتجاه الإيجابي، وخلق نوع من التوازن بين دلالاته الحسية والمعنوية) (3).
المفهوم الثاني: حقيقة الغني:

جاء عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ) (4).
قال أبو العباس القرطبي: (ومعنى هذا الحديث: أَنَّ الْغِنَى الْغِنَى الْغِنَى أَوْ الْعَظِيمُ أَوْ الْمَمْدُوحُ، هُوَ غِنَى النَّفْسِ، وَبَيَانُهُ: أَنَّهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ نَفْسُهُ كَفَّتْ عَنِ الْمَطَامِعِ، فَعَزَّتْ وَعَظُمَتْ، فَجَعَلَ لَهَا مِنَ الْحِظْوَةِ وَالنِّزَاهَةِ وَالتَّشْرِيفِ وَالْمَدْحِ أَكْثَرَ مِمَّنْ كَانَ غَنِيًّا بِمَالِهِ، فَقِيرًا بِحِرْصِهِ وَشِرْهِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوْرِطُهُ فِي رِذَائِلِ الْأُمُورِ، وَخَسَائِلِ الْأَفْعَالِ، لِبُخْلِهِ وَدِنَاءَةِ هَمَّتِهِ، فَيَكْثُرُ ذَامُّهُ مِنَ النَّاسِ، وَيَصْغُرُ قَدْرُهُ فِيهِمْ؛ فَيَكُونُ أَحْقَرُ مِنْ كُلِّ حَقِيرٍ، وَأَذَلُّ مِنْ كُلِّ صَغِيرٍ) (5).

(1) صحيح مسلم: 4/ 1585، رقم (2581)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: 6/ 145 - 146.

(3) المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية: 44 - 45.

(4) الجامع الصحيح (صحيح البخاري): 12/ 611، رقم (6446)، كتاب الرقاق، باب (15) الغنى غنى النفس؛ وصحيح مسلم:

2/ 599، رقم (1051)، كتاب الزكاة، (40) باب: ليس الغنى عن كثرة العرض.

(5) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: 3/ 95 - 96.

قال الطيبي: (ويمكن أن يراد بـ(غنى النفس) حصول الكمالات العلمية والعملية، وأنشد أبو الطيب في معناه:

وَمَنْ يُنْفِقِ الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر

يعني: ينبغي أن ينفق ساعاته وأوقاته في الغنى الحقيقي، وهو طلب الكمالات؛ ليزيد غنى بعد غنى، لا في المال فإنه فقر بعد فقر) (1).

وهذا الفهم ليس على إطلاقه، فنعم المال الصالح للرجل الصالح، ونحن مطالبون بإعداد القوة والأخذ بزمام الحضارة والتقدم، يقول ابن حجر موضحاً حقيقة الغنى: (وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب، بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره؛ فيتحقق أنه المعطي المانع، فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه، ويفزع إليه في كشف ضرائه؛ فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غيره وبه تعالى) (2).

فغنى النفس يقود أفراد الأمة إلى التفاني في البحث النافع وخدمة المجتمع، وبناء المعرفة، والبذل في سبيل التقدم، ورفع الأثرة، ونشر الإيثار. الأمر الثاني: باب التعبير:

التعبير مختص بتعبير الرؤيا، وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها(3).

وقال الأزهري: (قيل لعابر الرؤيا (عابراً)؛ لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا، فيتفكر في أطرافها، ويتدبر كل شيء منها، ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى) (4).

قال الدكتور محمد أبو موسى: (وقد عرّف علماءنا التعبير بقولهم: العبور من ظاهر اللفظ إلى باطنه، ويقولهم: النظر في الشيء، فيعتبر بعضه ببعض، حتى يحصل على فهمه. وقد عبّ ابن حجر على هذا بقوله: (الثاني حكاة الأزهري، والأول جزم به الراغب) (5). وهذا كلامٌ جيد، ومعنى الأول: إنَّ للفظٍ ظاهراً وباطناً، وأنا في التفسير والتأويل نتجاوز هذا

(1) الكاشف عن حقائق السنن، الطيبي: 9 / 339.

(2) فتح الباري: 14 / 559.

(3) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: 543.

(4) تهذيب اللغة: 2 / 378 (عبر).

(5) ينظر: فتح الباري: 16 / 278.

أمرهم، وهكذا المؤمنون بهم صلاح الأرض وأهلها، وهم زينتها، وأنفع أهل الأرض للناس...، ومن وجه آخر وهو: أن البقر تُثير الأرض وتهيئها لقبول البذر وإنباته، وهكذا أهل العلم والإيمان يثيرون القلوب ويهيئونها لقبول بذر الهدى فيها ونباتة وكماله⁽¹⁾.

وهذا اللبن في الرؤيا معناه: الفطرة، والعلم، والقرآن، يقول النبي ﷺ: (بينما أنا نائمُ أُتيتُ بقدر لبنٍ؛ فشربت حتى اني لأرى الرِّيَّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم⁽²⁾).

قال ابن بطّال: (رؤية اللبن في النوم تدلُّ على السنة، والفطرة، والعلم، والقرآن؛ لأنَّه أول شيء ناله المولود من طعام الدنيا، وهو الذي يُفتقُ معاه، وبه تقوم حياته، كما تقوم بالعلم حياة القلوب، فهو يُشاكل العلم من هذه الناحية. وقد يدلُّ على الحياة؛ لأنَّها كانت به في الصغر، وقد يدلُّ على الثواب⁽³⁾).

والمناسبة بين (اللبن)، و(العلم) لطيفة. لأنَّ (اللبن رزقٌ يخلقه الله طيباً بين أخبات من دم وفرث، كالعلم نورٌ يظهره الله في ظلمة الجهل، فضرِب به المثل في المنام. قال بعض العارفين: الذي خلَّص اللبن من بين فرث ودم، قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل، ويحفظ العمل عن غفلة وزلل⁽⁴⁾).

ووجه الشبه بين (اللبن)، و(العلم) أيضاً: كثرة النفع؛ فاللبن للغذاء البدني، والعلم للغذاء المعنوي؛ لذا جاء أمر الزيادة فيهما. قال تعالى: **جَنِّتْكَ**⁽⁵⁾، وقال ﷺ: (من سقاه الله عزَّ وجلَّ لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه⁽⁶⁾).

فباب التعبير يحتاج إلى إعمال الفكر، وتنوير الخواطر الكامنة، يقول محمد محمد أبو موسى: (وياب التعبير ... بابٌ من أبواب البلاغة الغائبة، وفيه خيرٌ لدارس النص إذا أفاد منه

(1) بدائع الفوائد: 3 / 1157 - 1158.

(2) الجامع الصحيح: 1 / 323 - 324، رقم (82)، كتاب العلم، (22) باب: فضل العلم.

(3) شرح صحيح البخاري: 9 / 35.

(4) فتح الباري: 16 / 347.

(5) طه: 104.

(6) سنن الترمذي: 5 / 384، باب: ما يقول إذا أكل طعاماً.

بحذر ووعي، ويقظة، وبصيرة، ولم يتهوّر، ويدخله في ضباب الرموز الأدبية التي ليست من طبع بياننا⁽¹⁾.

بعد هذا الإفصاح في بابي المفاهيم والتعبير، ونحن قد دخلنا في عصر العولمة بغير عدة أو إعداد، يجب أن يكون تعاملنا معها إيجابياً، فنجعل من (اللغة) طريقاً موصلة للثقافة النافعة، ونيسر تناقلها بين الناس في مختلف دول العالم، ويتحقق هذا بتشجيع الأبحاث العلمية اللغوية الداعية لاستعمال العربية.

واللذة في بيان العربية يحدث أثراً في السلوك الإنساني، والاهتزاز الحي لذلك البيان يؤنس النفوس بالمعاني، وأنّ النفس إذا لم تأنس لم تحفظ، وإذا لم تحفظ لم تعمل⁽²⁾. ونختم هذا بقول الدكتور طه جابر العلواني: (وعلاقة اللغة بإنسانية الإنسان، وب عقله، وفكره، ومعرفته، وعلمه، وحياته، وهويته، وإنسانيته علاقة عضوية فطرية، لا يمكن تصور حقيقة الإنسان بدونها)⁽³⁾.

(1) شرح أحاديث من صحيح البخاري: 362.

(2) ينظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي: 96.

(3) لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب: 18.

يقول محمد محمد أبو موسى: (وقد نزل القرآن بهذه اللغة إلى الناس كافة، ووعد ربنا بأنه سيظهر على الدين كله، ومعه هذه اللغة التي لا بُدَّ أن تصير لسانًا للناس كافة)⁽¹⁾.
(وإنَّ أسرار الله في هذا اللسان كأسرار الله في خلقه)⁽²⁾.

(الرب -تعالى- يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين: أحدهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكير في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المفعولة)⁽³⁾.

(فتأمل هذه النكت البديعة تجدها ألطف من النسيم ولا تعلق إلا بذهن يناسبها لطافة ورقة)⁽⁴⁾.

(فلا يثنيكَ شأنُ مَنْ صدَّ عن السبيل وصدق ولا تنقطع مع من عجز عن مواصلة السري ووقف فإنما هي مهجة واحدة فانظر فيما تجعل تلفها وعلى من تحتسب خلفها)⁽⁵⁾.

(1) آل حم: الجاثية- الأحقاف، دراسة في البيان القرآني: ص 45، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/1، 1432هـ- 2011م.

(2) مراجعات في أصول الدرس البلاغي: 86.

(3) الفوائد: 28.

(4) بدائع الفوائد: 2 / 527.

(5) بدائع الفوائد: 2 / 672.

الخاتمة

- بعد هذه الرحلة الطيبة مع هذه الورقيات، أُلخِّصُ أهمَّ النتائج:
- الاولى: العربية شرط أساس في الدراسات المستقبلية للأمة؛ الرامية لبناء مجتمع المعرفة.
- الثانية: الاعتزاز بالعربية عامل مهم في إتقانها، وتجديدها لتكون لغة الحياة اليومية.
- الثالثة: الاعتقاد الجازم عند أبناء العربة أنّ المستقبل لهذا اللسان.
- الرابعة: أنصف اللسان العربي بخصائص عالية، اذ جمع بين الإبانة واليسر.
- الخامسة: علم العربية شرط أساس في الفهم وصواب التفكير.
- السادسة: هناك أبواب التأمل فيها يفتح مجالات معرفية جديدة.
- السابعة: بناء المفاهيم يكون على نواقص الشرع واللغة.
- الثامنة: العودة إلى المفاهيم للتجديد والتدبر، يفتح آفاق المستقبل الباهر.

المصادر والمراجع

1. **الإبهاج في شرح المنهاج:** علي بن عبد الكافي، تقي الدين السبكي (ت: 756 هـ)، وولده عبد الوهاب بن علي، تاج الدين السبكي (ت: 771 هـ)، تحقيق: د. أحمد جمال الزمزمي، ود. نور الدين عبد الجبار صغييري، دار البحوث والدراسات الإسلامية- دبي، ط/1، 1424هـ = 2004م.
2. **أفلا يتدبرون القرآن:** د. طه جابر العلواني، دار السلام- القاهرة، ط/2، 1431 هـ = 2010م.
3. **آل حم: الجاثية، الأحقاف:** دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، 2011م.
4. **آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان:** دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/1، 1431 هـ = 2010 م.
5. **آل حم: غافر، فُصِّلَت:** دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/1، 1430 هـ = 2009م.
6. **الأمل وأثره في حياة الأمة:** محمد عبدالله أبو صعليك، دار القلم -دمشق، الدار الشامية- بيروت، ط/2، 1417هـ = 1996م.
7. **الائتمان على المستقبل في السنة النبوية نحو حداثة إنسانية جديدة:** د. محمد عبد الفتاح الخطيب، طبع في الندوة العلمية الدولية الخامسة، بعنوان (الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية) كلية الدراسات الإسلامية والعربية- دبي، 1432هـ = 2011م.
8. **بدائع الفوائد:** أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن ايوب، ابن قيم الجوزية (ت: 751 هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد- مكة، ط/1، 1425هـ.
9. **تهذيب اللغة:** أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت: 370 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، تصوير عن الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة، 1964- 1967م.
10. **الجامع الصحيح:** أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256 هـ)، دار طوق النجاة- بيروت، ط/1، 1422هـ.
11. **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان:** محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبدالله القرطبي (ت: 671 هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/1، 1427هـ- 2006م.

12. حضارة العرب: غوستاف لوبون،
13. خصائص المصطلح الحديثي: د. محمد مشان، دراسات مصطلحية، ع(4)، معهد الدراسات المصطلحية، 1426هـ = 2005م.
14. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/3، 1406هـ = 1986م.
15. دلالة الألفاظ على المعاني عند الاصوليين: د. محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/1، 1430هـ - 2009.
16. الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي (ت: 204 هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المشرق للكتاب- دمشق، د. ت.
17. روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام: محمد بن علي ابن الأزرق الغرناطي (ت: 896 هـ)، تحقيق: سعيد العلمي، كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس، 1999م.
18. السياسة اللغوية: جيمس أ، طوليفيسن، ترجمة: محمد خطابي، مجلة علامات، العدد: 9.
19. شرح أحاديث من صحيح البخاري: د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ط/1، 1421هـ - 2002م.
20. الصّاحبي: أحمد بن فارس (ت: 395 هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار إحياء الكتب العربية (لا. ت).
21. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت: 261 هـ)، دار ابن حزم- بيروت، دار الصمعي- الرياض، ط/2، 1419هـ - 1998م.
22. العربية: يوهان فك، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط/2، 1424هـ = 2003م.
23. علم اللغة الاجتماعي: هرسون، ترجمة: محمود عياد، ومراجعة: د. نصر حامد أبو زيد، ود. محمد أكرم مسعد الدين، عالم الكتب- القاهرة، ط/1، 1990م.
24. علوم العربية ومنهجية الجمع بين القراءتين: عادل الشيخ عبدالله، مجلة (إسلامية المعرفة)، س (17)، ع(28)، ربيع: 1423هـ - 2002م.
25. على طريق الشهود ملامح وآفاق، عمر عبيد حسنه، المكتب الإسلامي، ط/1، 1422هـ - 2001م.

26. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ)، اعتنى به: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة- الرياض، ط/1، 1426 هـ - 2005م.
27. الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، 1402 هـ - 1982م.
28. فقه اللغة وأسرار العربية: الثعالبي، تحقيق: خالد فهمي، مكتبة الخاتجي - القاهرة،
29. فقه النوازل (قضايا فقهية معاصرة): بكر بن عبدالله أبو زيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/1، 1422 هـ - 2001م.
30. الفوائد: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن ايوب، ابن قيم الجوزية (ت: 751 هـ)، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد - مكة، ط/1، 1429 هـ.
31. قوة الثقافة لا ثقافة القوة، عمر عبيد حسنه، المكتب الإسلامي، ط/1، 1425 هـ - 2004م.
32. الكاشف عن حقائق السنن: الحسين بن محمد الطيبي (ت: 743 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/1، 1422 هـ = 2001م.
33. اللسان العربي بين الانتشار والانحسار: عبد الرحمن خليف، دعوة الحق، السنة (9)، العدد (101)، 1410 هـ = 1990م.
34. لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب: طه جابر العلواني، الدار العالمية للنشر، 2008م.
35. اللغة وسلوك الإنسان: ديريك بيكرتون، ترجمة: محمد زيادة كبة، جامعة الملك سعود (1422 هـ - 2001م).
36. اللغة وهوية الأمة: د. خالد الكركي، نشر في مؤتمر (سبل النهوض باللغة العربية)، الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الاردني، 1434 هـ = 2012م.
37. لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم؟ الأمير شكيب أرسلان، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط/2، 1430 هـ = 2009م.
38. المبشرات بانتصار الإسلام: د. يوسف القرضاوي، دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، ط/2، 1432 هـ = 2002م.
39. مجالس العلماء: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت: 340 هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1420 هـ = 1999م.
40. مدخل إلى التحصين الفكري للأمة: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط/1، 1422 هـ = 2001م.

41. مراجعات في أصول الدرس البلاغي: د.محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط/2، 1429هـ = 2008م.
42. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 هـ)، المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، 1408هـ- 1987م.
43. المسند: أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ)، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/2، 1429هـ- 2008م.
44. المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية: سعيد شبار، كتاب الأمة، العدد (78)، السنة (20)، رجب، 1421 هـ.
45. مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الأصفهاني (ت نحو: 425 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق، ط/4، 1430 هـ = 2009م.
46. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أحمد بن عمر، أبو العباس القرطبي (ت: 656 هـ)، دار ابن كثير- دمشق، وبيروت، ط/2، 1420 هـ = 1999م.
47. المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الاغريق القدماء إلى عصر النهضة: توماس جولدشتاين، ترجمة: أحمد حسان عبد الواحد، عالم المعرفة، العدد (296)، سنة 2003م.
48. مناهج علمائنا في بناء المعرفة: د. محمد محمد أبو موسى، محاضرات الموسم الثقافي كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى، 1420 هـ = 1999م.
49. المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح صحيح مسلم): أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: 676 هـ)، تحقيق: موفق مرعي، دار الفيحاء- دمشق، ودار المنهل - ناشرون-دمشق، ط/1، 1431 هـ = 2010م.
50. الموافقات: إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي (ت: 790 هـ) تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1، 1417 هـ = 1997م.